معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (القواعد الأربعة)

شرح الشيخ (هادي حماد) حفظه الله

الدرس رقم (4)

المستوى الثاني

التاريخ: الثلاثاء: 05/ذو القعدة/1440

الدرس الرابع من شرح القواعد الأربعة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ للهِ رب العالمين وصلَّى الله وسلم على نبيه محمد وآلهِ وصحبهِ أجمعين أما بعد:

قال - رحمه الله- :(**والقاعدة الثالثة أنَّ النَّبي صلَّى الله عليه وسلم ظَهَرَعلى أُنَاسٍ مُتفرقينَ في عِباداتهم مِنهم مَنْ يعبدُ الملائكة ومِنهم مَنْ يعبدُ الأنبياءَ والصَّالحين ومنهم من يعبدُ الاشجارَ والاحجارَومِنهم من يعبدُ الشَّمس والقمروقَاتَلهُم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم ولم يُفرّق بينهم والدليلُ قوله تعالى :{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ }**.

بَيَّنَ المُؤلف - رحمه الله - في هذهِ القاعدة اختلاف المشركين في معبوداتهم، وتنوّعهم في عبادتهم لغير الله عزَّ وجل فليسوا على شاكلةٍ واحدة في جنسِ ما يعبدونهُ؛

- فمنهم من يعبدُ الملائكة،
- ومنهم من يعبدُ القمر،
- ومنهم من يعبدُ الشجر،
- ومنهم من يعبد الحجر،
- ومنهم من يعبد القبر والقبور والأنبياء والصالحين

كلُّ هذا بيَّنهُ المُؤلف - رحمهُ الله - في هذهِ القاعدة لِئَلا يظن ظانٌّ أنَّ الشركَ محصور في عبادة حجر أو صنم فلا وجود لشرك في العالم إلا من هذا النَّوع فلا يدخل فيه من صرَف نوعا من أنواع العبادة لرجل صالح؛ فطاف بقبرِهِ مُتقربًا له؛ أو ذبح له راجياً شفاعةً وطالباً قربةً من الله عزَّ وجل؛ ذبحَ له راجياً أن يشفع هذا المذبوح لهُ عند الله عزَّ وجل لِيقرِّبهُ من الله عزَّ وجل.

فبيَّن المُؤلف أنْ لا فرقَ بين عِبادة حجر وعِبادة وليّ؛ فالشِّركُ في العبادةِ هو صرف أيّ نوع من أنواع العبادة لغير الله وإنْ كان رسولاً مرسلًا؛ وإن كان مَلَكًا مُقرَّباً؛ وإنْ كانَ رجلًا صالحاً فكلُّ من صرفَ عبادة لغير الله عز وجل فقد أشرك بالله، وفعلَ الذَّنبَ المُهْلك الذي يخرجهُ من الإسلام الذّنب الذي لا يغفرهُ الله عزَّ وجل إلا بتوبة من صاحبه في الدنيا ﴿ إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ

﴿يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

فكيفَ يُحْصَر الشِّرك بعبادة حجرٍ أو صنم؛ بأي شرعٍ بأي دليلٍ فُهِمَ هذا؟

لا شكَّ أنَّ هذا الفَهم من أبعدِ الضَّلال وأشدِّ الانحلال عن دين الله عزَّ وجل؛ إذ جعلوا العبادة والعملَ والدِّين لغيرِ الله عز وجل جائزًا إذا كان لوليٍ أو رسولٍ أو رجلٍ صالح هذا دليل المؤلف رحمهُ الله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ يعني المشركين

﴿حتَّى لا تكون فتنة﴾ يعني شِرك

﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لله﴾؛ أي العمل والعبادة فلا يُجعل فيها حصة ولا جزء لغير الله عزَّ وجل

وقوله تعالى : ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ هذا عامّ في أنواع الشرك.

قالَ - رحمهُ الله - :(ودليلُ الشَّمسِ والقمرِ قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ}.)

أي اللَّيلُ والنَّهار وحركتهما ومجيئهما وما يحصلُ فيهما: من آياتِ اللّهِ عزَّ وجل؛ والشَّمس والقمر وعجائِبُهما من آيات الله سبحانه وتعالى ومخلوقاتهِ، ودلائلِ توحيده؛ وبديعِ خَلْقه دلَّت على وجوبِ إفراده بالعبادة.

فإذن لا تسجدوا للشَّمسِ ولا للقمر فإنَّ الشَّمسَ والقمرَ من مخلوقات الله يَتصرَّفُ اللهُ بالشمسِ والقمر كما يشاء، ويأمرهم بما يشاءُ سبحانه وتعالى.

فلذلكَ نَهى الرَّسول ﷺ عن الصَّلاةِ عند طُلوعِ الشَّمسِ وعند غروبها سدًا للذريعة؛ لأنَّ هذا كان موجوداً عند أقوام كانوا يعبدون الشَّمسَ والقمر؛ وقد نُهينا عن التشَّبهِ بالمشركين فَسَدَّ الذريعة رسول الله ﷺ.

قالَ: (ودليلُ الملائكة قوله تعالى: {وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا})

وجاءَ النَّهي الواضح في كتاب الله عن ذلك؛ إذ قد وُجِد وحصلَ فدَّل أنَّ هذا شرك.

قالَ: (ودليلُ الأنبياء قولهُ تعالى :{ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ) أي هذا لا أفعلهُ ولا أقولهُ إذ أقْرَرتُ بتوحيدِ الله واستسلمتُ لله

كيفَ أقولُ ما ليسَ لي بحق؟

(إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ})

﴿ وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾.

إذ قد عُبِدَ من غير الله سبحانه وتعالى.

قالَ: (ودليلُ الصَّالحين قولهُ تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ})

دليلٌ أن هناك من عَبَدَ الصالحين من البشر، وصَرفَ إليهم ما لا يحقُّ صرفهُ ولا يجوزُ صرفهُ إلَّا للهِ عزَّ وجل؛ فقد سَوَّى بين اللهِ عز وجل ورجلٍ صالحٍ في العبادة؛ فبيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ هٰؤلاء الذين يدعونَ أي - الذين يعبدونَ - من قوم صالحين

هؤلاء الصَّالحونَ الذين يُعْبَدونَ هم قوم يبتغونَ إلى ربِّهم الوسيلة؛ يبحثونَ عن مرضاتهِ بالطُّرُقِ التي شرعها؛ في العبادة التي بَيَّنها الوسيلة أي الطَّاعة والقُربة؛ فكلُّ عِبادةٍ شرعها الله عز وجل فهي وسيلةٌ للقُربةِ ووسيلةٌ لرجاءِ وتحصيلِ الرَّحمة ووسيلة للنَّجاةِ من عذابهِ؛ ودليلٌ إذا فَعلها الانسان كَمَا أرادَ الله عزَّ وجل منهُ فإنه يخافُ عذابَ ربِّهِ.

﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾

فكيفَ إذن تَصرِفونَ لهم العبادة؟

وكيفَ تعبدونهم وهم قومٌ عَلِموا ضَعفهم عَلِموا حالهم؟

عَلِموا أنَّهم بحاجةٍ لرحمةِ الله فتوَّجهوا بالطَّاعة والقُربة إلى معبودِهم الواحد؛ ولم يعبدوا غيرهُ؛

وخافوا عذابهُ وأرادوا رحمتهُ والقربةَ منهُ، هم لم يعبدوا غيره؛ فكيفَ تعبدونهم؟ وتسلكونَ غير طريقِتهم المحمودة؟؛ هذا ثناءٌ من اللَّه عزَّ وجل عليهم؛ فإن كنتم صادقين اتَّبِعُوا طريقَ الأنبياء والصَّالحين الذين اتَّبعوا الأنبياءَ واتَّبعوا ما أنزلَ اللهُ على الأنبياء؛ لا تُفَسِّروا الوسيلة بغيرِ معناها؛ لا تُفَسِروها بطلبِ الشَّفاعة من الصَّالحين ولا تفسِّروها بالنَّذرِ لهم؛ والحَلف بهم؛ والطَّوافَ بقبرِهم وتقولون إن اللَّهَ قد ذكرَ أنَّ الصَّالحين يبتغونَ إلى رَبِّهم الوسيلة؛ **الوسيلةُ هي الطَّاعة والقُرْبَة التي شَرَعَها اللَّهُ عزَّوجل**؛ فالَّذي يقول أن الوسيلة معناها الواسطة من خلق الله؛ فهو من أجهل النَّاس بأهم معاني القُرآن بأهم ما يدلُّ عليه القُرآن من توحيد العبادة.

فالوسيلةُ هي الطَّاعة التي تُقرِّب إلى الله من عبادةٍ وصلاةٍ وصومٍ وزكاةٍ ونحو ذلك؛ وتَوَسّل إليه بأسمائهِ وصفاتهِ الحسنى والدعاء فهو الطاعة.

قالَ: (**ودليلُ الأحجاروالأحجارقوله تعالى: {أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ والْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ}**)

هذهِ الآية جمعتْ بينَ ذِكر **اللَّات**- قيلَ هو رجلٌ صالح كان يلتُّ طعامًا ويطعمهُ للحُجَّاج فلما مات بَنوا على قبرهِ بيتًا ثُمَّ عبدوهُ من غيرِ الله- **والعُزَّى**- هي شجرة أو شجرات في وادٍ بينَ مكة والطائف. - **ومَنَاة** صخرةٌ كبيرة

فبيَّن الله في هذه الآية ضلالَ القومَ الذين يعبدونَ اللّات والعُزى ومَنَاة الثالثة الأخرى

أفرأيتم هذه المعبودات من غيرِ الله؟

هل ستُنجيكم من عذاب الله؟

هل تَشفيكم من مرض؟ هل تُغنيكم من فقر؟

هل تَنصركم هل تنفعكم؟ هل تخلق أو ترزق هل تعطي هل تمنع؟

الجوابُ واضح والجوابُ معلوم لكلِّ ذي عقلٍ وعى عن الله سبحانه وتعالى.

قالَ (**وحديث أبي واقدٍ الليثي - رضي الله عنه - قال خرجنا مع النبي ﷺ الي حُنين ونحنُ حُدَثاءُ عهدٍ بكفرٍوللمشركينَ سِدرةٌ يَعكُفُونَ عِندها وَيُنَوطُونَ بِها أَسْلحَتهم يُقَالُ لها ذاتُ أنْوَاط**)

- يعني يضعون هذه الاسلحة ويربطونها بها رجاء البركة :-

(فَمَرْرنا بِسِدرةٍ فَقُلنا: يا رسولَ اللَّهِ اجْعَلْ لنَا ذاتَ أنْواطٍ كَما لَهُم ذاتُ أنواطٍ)

هذا الحديث المعروف.

فهذا الحديث دلَّ على أنَّ هناك قرم تعلَّقوا بشجر طلبوا من الشجر في الجاهلية؛ وكذلك الأحجار، كذلك الانبياء والصالحين والشمس والقمر كلُّ هذا مع الشرك سواء هذا شرك الشرك صرف عبادة لغير الله عزَّ وجل وتسوية غير الله بالله.

فالشَّاهد والمقصودُ من هذه القاعدة أن لا نُفَرِّق بين نوع من المعبودات

فكلمة لا إله إلا الله: لا معبودَ بحقٍ إلَّا الله؛ لا يُعْبَد إلا الله

كلُّ من عبد غير الله فهو مشرك. لا فرق بين من عبد وليًا ومن عبد نبيًا كمن عبد ملَكا كمن عبد رجلا صالحًا النَّبي ﷺ لم يفرق بين ذلك والله عزَّ وجل لم يُفَرِّق في كتابه بين ذلك والله اعلم

وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد